الحلقة الثانية

■■التاريخ الانقلابي والدموي للعراق مليء بالخفايا والأسرار، كما هو مليء بالغوامض التي تحتاج الى تفسير وتوضيح. كيف انفرد عبدالكريم قاسم وعبدالسلام عارف في قيادة ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨؟ وكيف أطاح قاسم بعارف قبل أن يطيح عارف به؟ كيف أجمع القوميون في العراق على دعم ثورة ١٤ رمضان ١٩٦٣ التي نفذها حزب البعث واطاحت بقاسم..؟ وكيف ولماذا انقلب عبدالسلام عارف على حزب البعث الذي جاء به رئيسا للعراق..؟ ولِمَ لم تتحقق وحدة العراق ومصر بعد تولي انصار الوحدة الفورية مقاليد الأمور في العراق..؟ وكيف تم توريث عبدالرحمن عارف رئاسة العراق بعد مقتل شقيقه عبدالسلام في حادث طائرة مروحية..؟ ثم كيف انقلب رجال عبدالرحمن عارف عليه وشاركوا في إعادة حزب البعث إلى الحكم مجددا..؟ وفي التوقيت الحالي، قد يكون السؤال الأهم: لم انفرد السنة بموقع رئيس الدولة العراقية منذ قيامها عقب الحرب العالمية الثانية وحتى سقوط صدام حسين..؟

صبحي عبدالحميد هو من أفضل المؤهلين للإجابة على كل هذه الأسئلة وغيرها واجلاء الكثير من الغموض الذي شاب تاريخ العراق فهو واحد من أبرز رجال تنظيم الضباط الأحرار الذي خطط للقيام بثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨. وهو من الذين آمنوا بحتمية ثورة ١٤ رمضان. وهو من وضع الخطة العسكرية لحركة ١٨ نوفمبر ١٩٦٣ التي اطاحت بنظام البعث الأول، وتولى بعدها وزارة الخارجية ثم الداخلية في عهد عبدالسلام عارف. ثم هو شارك في جميع مباحثات الوحدة العراقية المصرية، التي لم تقم لأسباب يكشف عنها لأول مرة في هذا الحوار المطول. وبعد مقتل عبدالسلام عارف. لعب دورا مهما في ترتيبات انتقال رئاسة الجمهورية التي آلت الى أخيه عبدالرحمن. ثم هو شهد سقوط نظام عبدالرحمن عارف على ايدي أبرز رجاله الذين تحالفوا مع أحمد حسن البكر، فأعادوا حزب البعث للحكم من جديد سنة ١٩٦٨■■

صبحي عبدالحميد قدم شهادته على صفحات (الوطن) عبر حوار مطول اجراه معه مراسلنا في عمّان:

صبحي عبدالحميد يقدم شهادته عن قيام البعث في العراق ومحاولات الوحدة العربية المجهضة:

■ عامر والسراج فرضا عبدالرحمن رئيسا بدل أخيه والبزاز فاز بأغلبية صوت واحد فتنازل

■ الملك فيصل الاول

■ جمال عبدالناصر

العراقيون توافقوا على فيصل الأول والانقلابات فرضت الرؤساء اللاحقين و«سنية الرئيس» محض صدفة

■■ *توريث الحكم خارج اطار الأنظمة الملكية مستهجن من قبل الرأي العام العربي، مع أنه ليس جديدا.. ذلك أن عبدالرحمن محمد عارف ورث شقيقه عبدالسلام عارف لدى مقتله في حادث سقوط مروحية جنوب العراق.*

غير أن جوهر الأمر لم يكن توريثا، ذلك أن قادة الجيش هم الذين أصروا على ترئيس رئيس الأركان في حينه، بعد أن رشحه لهم عبدالحكيم عامر نائب الرئيس المصري جمال عبدالناصر، وعبدالحميد السراج، الذي لجأ الى مصر بعد سقوط الوحدة السورية المصرية، وظل من رجالات عبدالناصر. كان الهم الأول لقادة الجيش هو عدم تولي عبدالعزيز العقيلي وزير الدفاع القوي رئاسة الجمهورية. كما أنهم لم يكونوا يحبذون ترئيس عبدالرحمن البزاز رئيس الوزراء، لأنه مدني. لكن ترشيح عبدالرحمن عارف تبع ترشيح عبدالرحمن البزاز، فكان لا بد من الإختيار. وكان الدستور العراقي في حينه يقضي بأن يعقد مجلس الوزراء ومجلس الدفاع الأعلى اجتماعا مشتركا، ويتم انتخاب رئيس بديل في حال خلو منصب رئيس الجمهورية بشكل طارىء. فكان أن فاز عبدالرحمن البزاز بفارق صوت واحد، لكنه قرر التنازل فورا لصالح عبدالرحمن عارف، ادراكا منه بأن الجيش لن يقبل به، وسيطيحه، وبذا ضمن البقاء رئيسا للوزراء. ولكن، لم كان جميع رؤساء الدولة العراقية منذ قيامها عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية من أبناء الطائفة السنية..؟

صبحي عبدالحميد يجيب على هذا السؤال بالتفصيل في الحلقة الثانية من هذا الحوار، لافتا الى أن العراقيين كانوا توافقوا على الملك فيصل الأول لدى قيام دولتهم، ثم إن الانقلابات العسكرية المتتالية كانت تفرض رئيسها رئيسا للبلاد.■■

بدأنا هذا القسم بالسؤال التالي:

حاوره في عمّان: شاكر الجوهري

* ماذا جرى في الاجتماع مع عبدالناصر..؟

** عقد الاجتماع في قصر القبة، وافتتح عبدالناصر الاجتماع قائلا بوجود كل نوابه، وأعضاء مجلس قيادة الثورة السابق، طرح الرئيس عبدالسلام عارف علينا في الإسكندرية موضوع وحدة العراق والجمهورية العربية المتحدة. وأنا وافقت على الوحدة. والآن نحن مجتمعون في القاهرة وقد درسنا موضوع الوحدة بعناية، وتوصلنا الى أن هناك حاجة الى المزيد من الوقت كي نهيىء كل الاستعدادات، وندرس كل الإمكانيات المتاحة لنجاح الوحدة، وضمان عدم فشلها.

لذلك، قال عبدالناصر، نحن اعددنا مشروعا متطورا أكثر من مجلس الرئاسة المشترك، وهو مشروع لإقامة قيادة سياسية موحدة بين مصر والعراق، تعمل على تهيئة القطرين لإقامة الوحدة خلال مدة اقصاها سنة.

الرئيس عبدالسلام عارف أجاب عبدالناصر قائلا: نحن اتفقنا على الوحدة في الإسكندرية.

قال عبدالناصر: يا أخ عبدالسلام دعنا نتجه نحو الوحدة بخطوات موزونة.

الأخ عبدالستار علي الحسين، عضو الوفد العراقي، وعضو متفرغ في مجلس الرئاسة، خاطب عبدالسلام قائلا: سيادة الرئيس اقرأ المشروع الذي اعددناه. لكن عبدالسلام عارف لم يخرج المشروع من جيبه ولم يقرأه، رغم تكرار مطالبة عبدالستار بذلك.. وكأنه لم يسمع..!

قبل شهرين من اجراء هذا اللقاء الصحفي كنت أجلس في بغداد مع الأستاذ ناجي طالب، وعندما استحضرنا هذه الواقعة قال ضاحكا (ولا زال مشروع الوحدة في جيب عبدالسلام عارف حتى الآن)..!!

وافق عبدالسلام عارف في حينه على المشروع المصري. وبعد أن ناقشنا ذلك المشروع اقترح الرئيس عبدالناصر أن يجتمع أمين هويدي سفير مصر لدى العراق، وشكري صالح زكي سفير العراق لدى مصر، ويتوليا صياغة هذا المشروع.. وأن يعرضا الصياغة التي يعدانها على المشير عامر عصر هذا اليوم، وعلى وزير خارجية العراق صبحي عبدالحميد.. وبعد أن يوافقا عليه، يقدم غدا لنا في اجتماع نعقده لهذه الغاية.

اتفقت والمشير عامر أن نلتقي في بيته الموجود بمعسكر العباسية.

* الذي قتل فيه لاحقا بعد هزيمة ١٩٦٧.؟

** لا.. هو قتل في منزله الرئيسي بالجيزة.

وبالفعل التقيت والمشير بالسفيرين اللذين قدما لنا مشروعا متكاملا، درساه بعناية، وهذا ما خلصنا اليه أنا والمشير بعد قراءته، حيث وافقنا عليه كما هو.

المشير، بعد قراءة المشروع، استأذنني في استدعاء الأستاذ محمد حسنين هيكل، ليعرض عليه المشروع بصفته صحفيا، وأخذ وجهة نظره به، فلم أمانع. وقد حضر هيكل بعد نصف ساعة من الاتصال به هاتفيا. وقد فاجأنا هيكل لحظة وصوله بخبر عن وقوع انقلاب سياسي في موسكو أطاح بنيكيتا خروتشوف رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي. وقال إن مصدر معلوماته هو رسالة صحفية من مراسل (الأهرام) في موسكو، التي كان هيكل يومها رئيسا للتحرير فيها.

المشير سأل هيكل سؤالا واحدا: كوسي (أي كوسيجين) هل شمله الإنقلاب أم أنه لا يزال في موقعه..؟ أجابه هيكل إنه باق، وهو أحد ثلاثة سيقودون روسيا في المرحلة المقبلة. فاطمأن المشير، وقدم لهيكل مشروع تشكيل القيادة السياسية الموحدة، حيث قرأه وأبدى اعجابه به. ووصفه بأنه جيد. وقال مبروك.

وفي اليوم التالي تم توقيع مشروع القيادة السياسية الموحدة من قبل عبدالسلام عارف وجمال عبدالناصر. وقد تشكلت هذه القيادة من الرئيسين جمال عبدالناصر وعبدالسلام عارف، وثمانية اعضاء آخرين من كل جانب.

* من كان ابرزهم..؟

** أبرز العراقيين كان صبحي عبدالحميد كوزير للخارجية، والأخ ناجي طالب، عبدالستار علي الحسين، محمد حسين الحبيب، عبد الحسن زلزلة، عبدالرزاق محيي الدين وطاهر يحيى رئيس الوزراء، وعبدالكريم فرحان، وأعضاء مجلس الرئاسة المشترك.

ولدى دعوتنا للعراق ضغطنا باتجاه تشكيل وزارة أكثر قومية لتتولى تنفيذ هذا المشروع، فدخلت الوزارة عناصر جديدة.

* ومن أبرز المصريين الأعضاء في هذه القيادة..؟

** معظم نواب الرئيس.

بعد توقيع الاتفاق عدنا لمقر اقامتنا، وتمت اذاعة الاتفاق في القاهرة وبغداد معا.

* ما هي أهم التعديلات التي اجريت على الحكومة العراقية بعد توقيع اتفاق الوحدة..؟

** تعرضت شخصيا لضغوط كي أتولى وزارة الداخلية خلفا لرشيد مصلح، الذي لم يكن مرغوبا ببقائه في الوزارة. كانوا يريدون وزيرا عسكريا للداخلية، وفي ذات الوقت أن يكون عضوا في اللجنة التنفيذية للاتحاد الإشتراكي العربي، حيث كانت هناك خلافات بين وزير الداخلية السابق والاتحاد الإشتراكي.

ارادوا وزيرا عسكريا للداخلية لأسباب عسكرية، وارادوه عضوا في اللجنة التنفيذية للاتحاد الإشتراكي كي يتمكن من التوفيق بين الألوية والاتحاد الإشتراكي. كان مطلوبا وزيرا للداخلية لا يخذل الألوية أو الاتحاد الإشتراكي.. ويحقق توازنا بين الحكام الإداريين والحزب.

* لِمَ لم ينفذ مشروع القيادة السياسية الموحدة..؟

** الحقيقة أنه عقد اجتماعات للقيادة السياسية الموحدة، غير أن المشروع انتهى برمته بعد وفاة عبدالسلام عارف.

* ما مدى صحة الإشاعات التي ذكرت في وقت سابق أن صدام حسين هو من دبر حادث اسقاط المروحية الذي قتل به عبدالسلام عارف من خلال تحميل أحد مرافقي عارف الذي كان بعثيا، طرد مناشير كان مفخخا..؟

** لا صحة لهذا. كل التحقيقات التي اجريت أكدت أن الحادث كان قضاء وقدرا. وقد وقع هذا الحادث يوم ١٩٦٦/٤/١٣، وكانت المروحية التي يستقلها روسية الصنع.

ويبدو أنه كان مكتوبا لعبدالسلام عارف أن يموت في حادث طائرة، ومن هذا الطراز إذ أنه كان تعرض لعدة حوادث قبل الحادث الذي قتل فيه في النهاية.

* لماذا أتى عبدالرحمن محمد عارف رئيسا للجمهورية خلفا لشقيقه عبدالسلام محمد عارف..؟

** كان بعض الضباط يميلون لاختيار عبدالرحمن البزاز رئيس الوزراء، رئيسا للجمهورية، وعلى رأسهم العقيد سعيد الصليبي آمر موقع بغداد، الذي كان يسيطر على بعض وحدات بغداد، حيث كان ضباطها يرتبطون به تنظيميا.

* ضمن أي تنظيم..؟

** كان يسمى تنظيم سعيد الصليبي. سعيد الصليبي كان ذا نفوذ، وكان ميالا للبزاز. أثناء تشييع الوزراء الذين قتلوا مع الرئيس وشيعوا قبله بيوم واحد، كنت أسير مع طاهر يحيى وناجي طالب، وكنا ثلاثتنا خارج الحكم في حينه. وقد اتفقنا أن نلتقي بعد الجنازة في منزل ناجي طالب، وحضر مع طاهر يحيى وزيران سابقان هما عبدالكريم هاني، وشامل السامرائي. وقد تدارسنا الموقف، واتفقنا على تشكيل مجلس رئاسة من اربعة أشخاص.

* وهم..؟

** رأينا أن هناك شخصيتين قويتين داخل الحكم تتنافسان على رئاسة الجمهورية، هما عبدالرحمن البزاز رئيس الوزراء، وعبدالعزيز العقيلي وزير الدفاع. وحتى ينجح المشروع يجب أن تكون هاتان الشخصيتان عضوين في مجلس الرئاسة.. ثم قررنا أن يكون ناجي طالب، وطاهر يحيى عضوين في المجلس.

واتفقنا على مفاتحة الجهة الرسمية بهذا الإقتراح.

* من هي..؟

** قسم قال لنفاتح عبدالرحمن البزاز، فقال طاهر يحيى الورقة القوية الآن ليست بيد البزاز، وإنما بيد وزير الدفاع العقيلي. لذلك فإن الأفضل أن نفاتحه.

اعترض ناجي طالب وقال إن العقيلي صديقه، وكان زميله في الكلية العسكرية، وأنه يعرف أنه رجل (عنود)، وليس سهلا اقناعه بهذه الفكرة. والأفضل هو الاتصال بضباط الجيش، وليكن الاتصال الأول مع سعيد الصليبي آمر موقع بغداد. وهذا ما حدث.

اتصل ناجي طالب بالصليبي هاتفيا، وطلب حضوره الى منزله، بعد أن ابلغه بأسماء الموجودين، أجاب الصليبي أنه موجود لديه ابراهيم فيصل الأنصاري قائد الفرقة الثانية. اجابه ناجي طالب ليتك تحضره معك، فهو رجل مهم حيث أنه قائد فرقة، وحضر الاثنان، وعرضنا عليهما المشروع، فوافقا عليه لكنهما أضافا عضوا خامسا للمجلس هو أحمد حسن البكر.

من جهتنا اضطررنا للموافقة، لأننا نريدهم أن يتحركوا هم لتشكيل هذا المجلس. وكان الصليبي وفيصل متحمسين للفكرة، وغادرنا بعد أن ابلغونا أنهم سيطلبون من بقية الضباط تأييده.

تدخل المشير

* ما الذي قلب الأمور..؟

** وصل المشير عبدالحكيم عامر للمشاركة في تشييع عبدالسلام عارف، كما أنه شارك في تشييع الوزراء في اليوم السابق، وكان معه عبدالحميد السراج (مسؤول أمني سوري سابق في دولة الوحدة السورية ـ المصرية، كان لاجئا سياسيا في مصر بعد الانفصال)، وكان معه كذلك أمين هويدي الذي انتقل من السفارة في بغداد وزيرا للإرشاد القومي في القاهرة. وقد اتصل عامر والوفد المرافق له بعدد من الشخصيات العراقية اهمها سعيد الصليبي، ونجحوا في اقناعه بالتخلي عن فكرة مجلس الرئاسة.

* ماذا اقترحوا..؟

** اقترحوا أن يكون عبدالرحمن عارف رئيسا للجمهورية. قادة الفرق والصليبي لم يكونوا راغبين في أن يأتي عبدالعزيز العقيلي رئيسا للجمهورية.. ذلك أنه كان رجلا قويا وصلبا، وتوليه رئاسة الجمهورية من شأنه أن ينهي ويلغي نفوذهم.. ولم يكن احدا منهم يستطيع أن يتكلم بوجوده.

الى ذلك، فإن قسما من الضباط لم يكن راغبا في رئيس مدني للجمهورية.

وقد لعب عبدالحميد السراج دورا مهما في اقناع الضباط بأن خير من يؤتى به رئيسا للجمهورية هو عبدالرحمن عارف.

* ما كان موقعه في ذلك الوقت..؟

** كان رئيسا لأركان الجيش، وكان موجودا في زيارة الى روسيا لحظة سقوط طائرة أخيه عبدالسلام، وعاد للمشاركة في التشييع.

لدى عودته عرف أن معظم ضباط الجيش وبعض الوزراء يريدونه رئيسا.

* من فاتحه بالأمر..؟

ـ سعيد الصليبي وجماعته هم الذين فاتحوه. وبالطبع، فإنه التقى المشير عامر.

في السابعة مساء يوم تشييع عبدالسلام عارف جاءني أحد مرافقي الوفد المصري، الذي كان مقيما في قصر الزهور، وابلغني أن المشير عامر يرغب في رؤيتي، فذهبت معه الى المشير، الذي وجدته جالسا مع عبدالحميد السراج وأمين هويدي وصدقي محمود قائد القوة الجوية العراقية.

قال المشير عامر: غدا ستجرى انتخابات لرئاسة الجمهورية. وكل الدلائل تشير الى أن عبدالرحمن عارف سيفوز بها.

* من هي الجهة التي كانت تنتخب رئيس الجمهورية..؟

** الضباط ومجلس الوزراء.

* ماذا كان نص الدستور في حينه..؟

** كان الدستور يقضي بأن يجتمع مجلس الوزراء ومجلس الدفاع الأعلى (الضباط) في حال شغور المنصب في حادث، ويتم انتخاب رئيس الجمهورية من قبلهما.

وأضاف عامر أن عبدالرحمن عارف طلب منه اقناعي بالتعاون معه بعد انتخابه رئيسا.

ويومها لم أكن وزيرا، إنما كنت خارج الحكم ومحسوبا على المعارضة.

ابلغته موافقتي على التعاون بشروط اولها أن يسير على خطى أخيه عبدالسلام، وأن يؤيد القيادة السياسية الموحدة بين العراق ومصر، وأن يحافظ على القرارات الإشتراكية، وأن يحافظ على استمرار اندفاع الوحدة مع مصر.

اشترطت كذلك للتعاون مجيء أحد اثنين رئيسا للوزراء، وهما طاهر يحيى أو ناجي طالب.

المشير عامر قال إنه سيغادر بغداد للقاهرة منتصف ذات الليلة، وطلب من أمين هويدي التوجه فورا الى عبدالرحمن عارف لإبلاغه بأن صبحي موافق على هذا الأساس.

عندما جرت الانتخابات في اليوم التالي، حصل عبدالرحمن البزاز على ١٤ صوتا، وحصل عبدالرحمن عارف على ١٣ صوتا من أصل ٢٧ صوتا. فأعلن البزاز تنازله لعارف، مع أن الدستور يقضي بإعادة الانتخاب لوجود فارق صوت واحد فقط، حيث أن الدستور كان ينص على حصول الرئيس على ثلثي الأصوات. وهكذا أصبح عبدالرحمن عارف رئيسا للجمهورية.

* ما الذي جعل البزاز يتنازل لعارف..؟

** لأنه رأى الوضع مريبا، وأن الجيش سيفرض عبدالرحمن عارف بالقوة رئيسا للجمهورية. لذلك، وهو كان عاقلا وذكيا وسياسيا من الطراز الأول، قرر التنازل، وعدم الخوض في مشاكل لا طائل منها.

وبدوره قرر عبدالرحمن عارف، من باب المجاملة، الإبقاء على البزاز رئيسا للوزراء. وطلب منه مشاركة صبحي عبدالحميد في الحكومة الجديدة وزيرا للخارجية، وناجي طالب وزيرا للدفاع.

لكن ناجي طالب امتنع عن الإشتراك في الحكومة وكذلك أنا.

* لماذا..؟

** ناجي طالب رفض أولاً، فبدأ البزاز حواره معي، وقد كنت أميل اليه، ولم تكن لدي أي مشكلة معه، وأعتقد أنه كان رجلا مقتدرا.

وزراء الشيعة في العهد الملكي اختيروا من التجار وعلماء الدين لأنهم قاطعوا المدارس والجامعات العثمانية

وعندما عرضت عليه مطالبي وافق عليها. وعندها سألته من هم الوزراء الذين يريد أن يشكل حكومته الجديدة منهم، فعرض علي ذات الوزراء الذين كانت تتشكل منهم حكومته السابقة، باستثناء عبدالعزيز العقيلي الذي رفض البقاء في الحكومة الجديدة.

عندما سمعت منع أسماء الوزراء قلت له هؤلاء نفس وزراء حكومتك السابقة الذين يوجد عليهم لغط في الشارع. وطلبت منه أن يغير. سألني من اقترح أن يغير، فعددت له بعض الأسماء، لكنه لم يوافق على تغيير الوزراء، الذين سبق له العمل معهم. وعندها رفضت أنا المشاركة في حكومته، خاصة إن أصر ناجي طالب على الرفض.

تحاورنا طوال ثلاث ساعات دون جدوى. وفي اليوم التالي جاءني الى منزلي، وكرر المحاولة معي ثانية، لكنني بقيت على موقفي، خاصة بعد أن علمت أن رفض ناجي طالب كان قطعيا.

* لماذا رفض ناجي طلب دخول حكومة البزاز..؟

** أعتقد أنه لم يكن هناك تفاهم بينه وبين البزاز، خاصة وأن البزاز نقل عنه القول أن الضباط يتصورون أنهم وحدهم متطورين. واعتقد ناجي طالب أن البزاز كان يقصده بذلك. لم يكن بينهما انسجام.من جهتي تمسكت برفضي دخول الحكومة، وقد شكلها البزاز من نفس أعضاء حكومته السابقة.

* السؤال الذي يطرح نفسه في ظل الظروف الراهنة.. ما هو السر في كون رئيس الدولة في العراق، منذ قيام الدولة العراقية وحتى عهد صدام حسين، سنيا..؟ هل هي مجرد مصادفة، أم ماذا..؟ الملك كان سنيا، وكذلك عبدالكريم قاسم ثم عبدالسلام عرف وشقيقه عبدالرحمن وأحمد حسن البكر وصدام حسين..! لماذا..؟

** السنة والشيعة اتفقوا في بداية تشكيل الدولة العراقية على أن يكون أحد أبناء الشريف حسين بن علي ملكا على العراق. وكان المرشح الأول لعرش العراق هو الأمير (الملك لاحقا) عبد الله.

* من الذي مثل السنة، ومن الذي مثل الشيعة في هذا الاتفاق..؟ ما هي صفاتهم التمثيلية..؟

** هم الذين قاموا بثورة العشرين ضد الإحتلال الإنكليزي. وهذه هي صفتهم التمثيلية. هم قادة الثورة.

* جاء العهد الملكي وفقا للاتفاق، فماذا عن الآخرين..؟

** الآخرون جميعهم جاؤوا للحكم عبر انقلابات. وشاءت المصادفة أن جميعهم كانوا سنة.

* فقط المصاقة..؟

** نعم. هي فقط المصاقة.

* ألم يشارك الشيعة في الانقلابات..؟

** لا. قائد الانقلاب هو الذي كان يتولى رئاسة الدولة. هذا هو السبب. لم يكن هناك أي سبب طائفي على الاطلاق، وصادف أن كان قادة كل الانقلابات من السنة.

عندما تولى الملك فيصل الأول عرش العراق كان حائرا كيف يجد وزراء من أبناء الطائفة الشيعية.. ذلك أنهم كانوا يستنكفون طوال العهد العثماني (٤٠٠ عام) عن ارسال ابنائهم الى المدارس العثمانية. ولم يرسلوا أيا من ابنائهم الى الكلية العسكرية في الأستانة.

لذلك، عندما جاء العهد الملكي في العراق، لم يكن هناك أي ضابط شيعي في جيش العراق، لأنهم لم يكونوا راغبين في أن يكونوا ضباطا في الجيش العثماني. ولذلك، فإن الضباط السنة.. عربا وكردا هم الذين شكلوا الجيش العراقي.

بدأ الشيعة بدخول الجيش العراقي بعد تأسيس الكلية العسكرية العراقية سنة ١٩٢٤.

كذلك، فإن الشيعة لم يكونوا يرسلون ابناءهم للمدارس، واعتمدوا فقد على الحوزة العلمية في النجف. ولهذا، كان أغلب مثقفي الشيعة من خريجي الحوزة العلمية.

لهذا، احتار الملك فيصل الأول من أين يأتي بوزراء شيعة الى الحكومات العراقية في عهده. ولذلك، فقد اعتمد على رجال الدين، وكذلك على كبار التجار الشيعة.

من رجال الدين تعاون مع الطبطبائي، والشهرستاني.

* وكلاهما ايراني الأصل..؟

** لكنهما كانا عراقيين من مدة طويلة.

وتعاون الملك مع عدد من كبار التجار كوزراء مثل عبد الحسين الشلبي، جعفر أبو التمن، عبد المحسن شلاش.بدأ الملك فيصل الأول يهيىء جيلا جديدا مثقفا من الشيعة، حتى أنه أصدر مرسوما ملكيا فرض بموجبه على كلية الحقوق قبول خريجي المدارس الإبتدائية من الشيعة، في اطار عملية التهيئة هذه.وقرر الملك كذلك قبول خريجي دورات العشائر من الشيعة في الجيش. وقرر قبول تلاميذ شيعة لم يكملوا دراستهم في الكلية الحربية. وأطلق على الدورات التي التحقوا بها تسمية دورات أبناء العشائر، وذلك لتهيئة جيل من الضباط من بين أبناء الشيعة.

في الثلاثينيات كانت جهود الملك فيصل أتت اكلها، وأصبح هناك مثقفون ودارسون من أبناء الشيعة مثل صالح جبر، صادق البصام، عبد المني المنتقكي ورؤوف البحراني.. وغيرهم، واصبحوا..

* البحراني كان وزيرا للمالية في حكومة الدفاع الوطني برئاسة رشيد عالي الكيلاني..

** وقبلها في حكومة ياسين الهاشمي.بدأوا يتولون المناصب. ولم يتهيأ من يتولى رئاسة الحكومة، حتى سنة ١٩٤٨، حيث تولى صالح جبر رئاسة الحكومة. وأعقبه محمد الصدر، ومحمد فاضل الجمالي الذي شكل الحكومة مرتين، ثم جاء عبد الوهاب مرجان. وفي العهد الجمهوري شكل ناجي طالب حكومة.

* وكذلك الدكتور سعدون حمادي ومحمد حمزة. ولكن ماذا عن الوزراء وقادة الجيش..؟

** تولى عدد من اخواننا الشيعة رئاسة مجلس النواب منهم محمد الصدر، الذي كان رئيسا مزمنا لمجلس النواب، ومحمد رضا الشبيبي الذي تولى رئاسة مجلس النواب عدة مرات.

وفيما يخص الوزارات، فقد تقلد صادق البصام وزارة الدفاع في حكومة مزاحم الباججي، وتقلدها اللواء الركن محسن حسين الحبيب في حكومة طاهر يحيى الثالثة في عهد عبدالسلام عارف.

وبخلاف ما زعمه جلال الطالباني مؤخرا من أنه كان يوجد ضابط ركن واحد شيعي في الجيش العراقي ايام العهد الملكي، هو اللواء الركن ناجي طالب، فقد كان هناك ما يزيد على ٢٣ ضابط ركن من اخواننا الشيعة في ذلك العهد، تخرج سبعة منهم بدرجة (أ) ونالوا قدم سنتين، وشغل كثير منهم منصب معلم في كلية الأركان، وهم: اللواء الركن جميل عبد المجيد.. دورة الأركان رقم (٥)، العميد الركن محمود المهدي.. دورة الأركان رقم (٥)، الرائد الركن محمد حسن الطريحي.. دورة الأركان رقم (٦). اشترك بحركة مايس التحررية سنة ١٩٤١ وأحيل بعدها الى التقاعد، العقيد الركن محسن محمد علي.. دورة الأركان رقم (٧). وأصبح معلما في كلية الأركان، النقيب الركن عبد الرسول منصور.. دورة الأركان رقم (٩). واستشهد في حادث طائرة، اللواء الركن ناجي طالب.. دورة الأركان رقم (١١). ثم تخرج من كلية اركان كمبرلي وأصبح معلما في كلية الأركان، المقدم الركن محمد رشيد الجنابي.. دورة الأركان رقم (١٤).

ضباط الركن الدرجة (ب) ومنحوا سنة واحدة قدم وهم: اللواء الركن محسن حسين الحبيب.. دورة الأركان رقم (١٢). وتخرج أيضا من كامبرلي وأصبح بعد ذلك معلما في كلية الأركان ولقد درسني فيها، اللواء الركن نجم الدين خضر، العقيد الركن ناجي محمد، العقيد الركن سيد صادق ابراهيم، المقدم الركن محمد علي كاظم، العقيد الركن جاسم كاظم الغزاوي، اللواء الركن حسين صادق، الفريق الركن عبد الجبار رحيم الأسدي، اللواء الركن عبد اللطيف عبد الرضا، الرائد الركن جابر علي كاظم، العقيد الركن فيصل شرهان العرس، المقدم الركن عبد العزيز جعفر الصندوق، العقيد الركن فائق مهدي البغدادي، اللواء الركن طالب محمد كاظم، اللواء الركن محمد مجيد الشوك، العقيد الركن عامر الحسك، المقدم الركن غضبان مردان السعد. وتقلد العميد كاظم عبادي منصب قائد القوة الجوية وهو منصب هام جدا. وكان معدل النجاح في قانون الكلية ٦٥ فما فوق، وبعد رسوبهم تعدل القانون وأصبح المعدل ٦٠ فما فوق. فاستغلوا صداقتهم بعبد الكريم قاسم وقدموا له عرائض طالبين أن يشملهم القانون الجديد حيث كان معدلهم يزيد عن ٦٠ فوافق عبد الكريم ومنحهم شهادة الركن وبذلك خالف القوانين حيث لم يكن للقانون أثر رجعي.

أنا لم أقل بأن العراق خال من الطوائف فالطائفتان السنية والشيعية موجودتان والمذهب الجعفري أحد المذاهب الإسلامية الخمسة، والإمام جعفر الصادق من أشهر من اجتهدوا في الدين الإسلامي وكثير من الأئمة تتلمذوا في مدرسته. ولكني أنكر وأستنكر السلوك الطائفي والتفرقة الطائفية سواء في التوظف أو توزيع المناصب الكبرى، وأعتقد أن هذا السلوك لم يمارس في الفترة من سنة ١٩٢٠ حتى سنة ١٩٦٨.

أما منصب رئيس اركان الجيش، فلم يشغله أحد من اخواننا الشيعة لأن من يشغله يجب أن يكون أقدم الضباط رتبة، والذين شغلوه حتى سنة ١٩٥٣ كلهم كانوا من ضباط الجيش العثماني واخواننا الجعفرية كانوا يستنكفون ارسال ابنائهم الى المدارس العثمانية، وهم دخلوا الى الكلية العسكرية العراقية عندما تأسست سنة ١٩٢٤. وأول رئيس اركان جيش من هذه المدرسة هو رفيق عارف الذي كان أقدم ضابط من خريجيها وتعين رئيسا لأركان الجيش سنة ١٩٥٣، وبقي في هذا المنصب حتى نهاية العهد الملكي. وفي عهد صدام حسين عين الفريق الأول الركن عبد الواحد شنان آل رباط رئيسا لأركان الجيش، وبقي في هذا المنصب المدة المقررة وهي اربع سنوات. ■

يتبع